المحاضرة السادسة:

المجال الثاني من ميادين المقارنة الأدبية

أ.م.د. علي مجيد البديري
جامعة البصرة / كلية الآداب

أما المجال الثاني لميادين المقارنة الأخرى: فيتضمن الدراسات التي تعنى بكيفية انتقال الآداب خارج حدودها اللغوية، فيدرس في إطار ذلك الوسائل التي أسهمت في رواج ظاهرة أدبية أو أدب كاتب ما في أدب أمة أخرى. وتضيء معطيات هذه الدراسة جوانب مهمة من سِيَر الآداب وتواريخ الظواهر، وتساعد القارئ على تفسير كثير منها.

ولعل تحقق الجدوى المعرفية من هذه الدراسات يكون مرهوناً بزمان الظاهرة المدروسة ومكانها، فدراسة كيفية انتقال مذهب أدبي معين إلى الثقافة العربية في النصف الأول من القرن العشرين، مهمة في ضوء سياقها الخاص، وسيكون الأمر قليل الأهمية فيما لو بحثنا عن الوسائط التي روجت لاتجاه فكري ما في حياتنا الثقافية الراهنة، لتعدد وسائل الاتصال بالآخر وتنوع قنوات التفاعل معه بشكلٍ كبير، ومتداخلٍ جداً، جعل مسألة تحديد الوسائط أمراً قليل الفائدة، ومسألة التثاقف معه أمراً حتمي الوقوع.

ويدرس ضمن هذا المجال :

١ـ نمط التأثير الذي يُحدثه مؤلفٌ أو كتابٌ أو نوعٌ أدبيٌّ في بلد أجنبيّ: ويقصد بذلك أن يكشف الباحث المقارن عن طبيعة التأثر بالآخر، وطريقة تفاعل المتأثر معه، فيقف الباحث عند وجوه التشابه والاختلاف، ويحدد ما إذا كان التأثر إيجابياً إبداعياً عمد فيه الطرف المتأثر إلى إجراء تحويل فني على العناصر المستجلبة من الآخر أم اكتفى بتقليدها ولم يضف إليها شيئاً، واقعاً في ما يمكن تسميته بالتأثر السلبي .

وهناك نمط من التأثير يسمى بالتأثير المتبادل، وفيه يدرس ما يحمله الأديب إلى الخارج، وما يدين به إلى الخارج من عناصر فنية أو موضوعية في نصوصه، وهنا تجتمع دراسة التأثير والبحث عن مصادر الأديب في وقت واحد.[١]

٢ـ دراسة المصادر التي أفاد منها المؤلف: وفيها يتتبع الباحث المقارن العناصر الأجنبية في ثقافة الكاتب أو في الأدب المتأثر[٢]، مثل دراسة المصادر الأجنبية في ثقافة الشاعرة نازك الملائكة، وهي التي أكملت

---

(١) ينظر : الأدب المقارن : ماريوس فرنسوا غويار : ٨٦

(٢) ينظر: الأدب المقارن : د. محمد غنيمي هلال ، دار العودة ـ بيروت ، ط٩، ١٩٨٧ : ٣٢٠

دراستها الجامعية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، واستقت بشكل مباشر من الثقافة الأجنبية، وتجلى ذلك واضحاً فيما كتبته من شعر رومانسي، و في نشاطها التأليفي في النقد الأدبي والاجتماع.

٣ـ دراسة الوسطاء الذين يمثلون قناة التواصل بين الآداب، وسبل انتقال التأثيرات فيما بينها. ويمكن أن يدرس ذلك بشكل كبير في بدايات الانفتاح على الآخر المختلف، ومثاله في النهضة العربية طه حسين، ورفاعة الطهطاوي وغيرهما من الأعلام، وكذلك يمكن أن يدرس في هذا المجال جهود أدونيس في نقل نماذج من الشعر الفرنسي إلى اللغة العربية، بوصفه وسيطاً ثقافياً أسهمت ترجماته في لفت أنظار الأدباء العرب إلى حداثة الشعر الفرنسي. أو أن تدرس جهود د. محمد غنيمي هلال في الترويج لنظرية المقارنة الفرنسية بعدما درس في السوربون وتتلمذ على يد رواد هذه المدرسة.

ويمكن أنْ تتداخل المجالات ـ جميعها أو بعضها ـ في دراسة واحدة، ويكون ذلك استجابة لأهمية العمل المدروس، أو لتأثيره الكبير والواسع في أدب أجنبي ما.